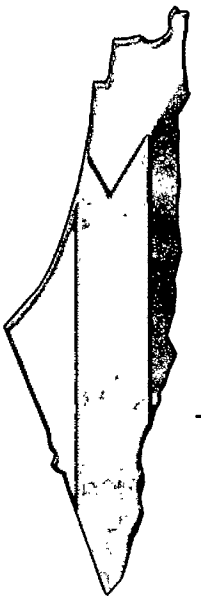

الفلسطينيون في سوريا في ظلّ الثورة

ملفّ من إعداد وتقديم:
يوسف فخر الدين

المشاركون
(الفبائيًا)

- طارق حمّود
- قيس مصطفى
- يوسف زيدان

قلّما ذُكر اللاجئون الفلسطينيّون في سوريا خلال الأزمة الراهنة التي يعيشها البلد. وهذا أمر نادر، إذ اعتدنا أن يلفت مصيرُ الفلسطينيّين الانتباهَ دومًا في أثناء الأزمات التي تمرّ بها البلدانُ التي يعيشون فيها. فما بال مناصري القضيّة الفلسطينيّة، والمهتمّين بمصير الفلسطينيّين، يغضّون الطرفَ عن معاناة هؤلاء في سوريا؟

يمكن السؤالَ أن يكون أقدم: فالفلسطينيّون في سوريا قلّما عرفوا اهتمامًا بأوضاعهم خلال عقود، حتّى إنّهم لم يعرفوا لجانًا مختصّةً بحقوق الإنسان كما هو شائع في أماكن تواجدهم؛ وهو ما له علاقة بطبيعة الحكم في سوريا، وبطبيعة علاقته بالفصائل الفلسطينيّة حيث دُجّنت الأخيرة وأصبحتْ بين تابعٍ تماهى مع السلطة، وبين معتزلٍ نقل اهتمامَه إلى الضفّة والقطاع، وبين عاجزٍ فضّل النأي بنفسه والاهتمامَ بمنافعه.

وممّا يبعث على خفض الصوت بخصوص الفلسطينيين في سوريا اليوم هو أنّ المحنة تطاول أغلبيّة السوريّين، فيصبح الحديثُ عن جماعة من السكّان دون غيرها أمرًا غيرَ مفهوم من الآخرين، وربّما غير أخلاقيّ. لكنّ للبحث أسبابَه الموجبة: فهو يوضح المعاناة العامّة، ويوضح وضعَ الفلسطينيّين وخياراتِهم، الأمرُ الذي يؤمل أن يساعدهم في مسعاهم للخروج من دائرة التجاذبات السياسيّة، علمًا أنّ فصائل منظّمة التحرير وحركة حماس وجلّ المثقّفين والناشطين الوطنيّين رفضوا زجّ الفلسطينيين في الصراع المسلّح.

وجريًا على عادة الآداب بمتابعة وضع الفلسطينيّين في كلّ مكان، وفي كلّ الظروف، توجّهنا إلى عدد من الكتّاب بطلب البحث في أحوال الفلسطينيّين في سوريا راهنًا، فاعتذر منهم من اعتذر، بداعي ظروفه، والتزم ثلاثة نقدّم للقارئ نتائجَ عملهم من دون تدخّلٍ من قبلنا، على أن نتابع الاهتمامَ بدعوةِ غيرهم.

دمشق

فلسطينيّو سورية: حضورٌ دائمٌ في الأزمة

□ طارق حمّود ❖

يمثّل فلسطينيّو سورية عنصرًا مهمًّا لمختلف أطراف الصراع السوريّ، لرمزيّةِ ما يمثّله الموقفُ من فلسطين في تعزيز كلّ منها. إلا أنّ هذه الرمزيّة جلبتْ عليهم ويلاتِ تلك الأطراف: بين مَن يشكّك في ولائهم للثورة، ومَن يتّهمهم بنكران الجميل.

ولذلك شَرَعوا، وهم أقلُّ الأقليّات،[1] يتجهزّون لسيناريوهاتٍ ليست أقلّ قتامةً ممّا واجهه فلسطينيّو العراق، أو فلسطينيّو الأردن بعد أحداث أيلول الأسود عام ١٩٧٠، أو فلسطينيّو لبنان إبّان الحرب الأهليّة.

❖ كاتب فلسطيني. منسّق «مجموعة العمل من أجل فلسطينيي سورية.»

(١) تبلغ نسبةُ سكّان المخيّمات من الفلسطينيّين مقابل سكّان سورية ١,٢٪ فقط، وتصل نسبةُ مجموع اللاجئين الفلسطينيّين إلى مجموع سكّان سورية إلى ٢,٢٪ فقط. وفي حساب الأقليّات يمثّل الفلسطينيّون أقلّ أقليّة بعد الشيعة الجعفريّة الإثنيْ عشريّة.

حضور الفلسطينيّين في الأحداث

اندلعتْ شرارةُ الحراك في سورية يوم ٢٠١١/٣/١٨ بتظاهرةٍ انطلقتْ من المسجد العمريّ في درعا بعد صلاة الجمعة، تنديدًا باعتقال ١١ طفلًا من أبناء حيّ درعا البلد، وإهانةِ وجهاءِ درعا الذين زاروا رئيسَ فرع الأمن السياسيّ، العميد عاطف نجيب، لحلّ الإشكال. ومع تطوّر الأحداث، واتّباعِ عنفٍ سلطويٍّ أدّى إلى سقوط عشراتِ الشهداء خلال اجتياح المسجد العمريّ لفضّ اعتصام المحتجّين، توسّعتْ دائرةُ الاحتجاج. فأحرق المتظاهرون السوريّون من أبناء محافظة درعا عددًا من المقارّ الحكوميّة يوم الاثنين ٢٠١١/٣/٢١، أبرزُها القصرُ العدليّ الذي يبعد ٢٠٠ متر عن مخيّم اللاجئين الفلسطينيّين في درعا.[٢] وهذا ما دفع الأجهزةَ الأمنيّة إلى اتهام المخيّم بأحداث يوم الاثنين. وهو ما أكّدتْه **الوطن** السوريّة،[٣] المقرّبةُ من النظام، حين نشرتْ تقريرًا طويلًا في اليوم التالي، متّهمةً الفلسطينيّين بـ «أعمال الشغب،» مدّعيةً «أنّ أهالي درعا كانوا قلّة،»[٤] علمًا أنّ عدد المتظاهرين السوريّين في ذلك اليوم بلغوا ١٥ ألفًا،[٥] فيما لا يتجاوز سكّانُ المخيّم الفلسطينيّ عشرة آلاف شخص![٦]

مثّل اتهامُ الفلسطينيّين ناقوسَ خطرٍ منذ بداية الأزمة.[٧] ثم تدحرجتْ كرةُ الاحتجاج لتصل خلال أيّام إلى حيّ السكنتوري (الرمل الجنوبيّ) في اللاذقيّة. ومن سوء حظّ الفلسطينيّين أنّ هذا الحيّ متاخمٌ للمخيّم الفلسطينيّ هناك، حيث اندلعت احتجاجاتٌ رافقتْها أعمالُ حرقٍ واقتحام لبعض المقارّ الحكوميّة والحزبيّة في الحيّ، فأصبح اتهامُ العنصر الفلسطينيّ في الأحداث أقربَ إلى التصديق. وهذا ما بلورتْه بثينة شعبان، المستشارةُ السياسيّة والإعلاميّة للرئيس بشّار الأسد، في مؤتمرها الصحافيّ يوم ٢٠١١/٣/٢٦، حين وجّهت اتهامًا مباشرًا إلى مجموعاتٍ فلسطينيّةٍ من مخيّم الرمل «بتكسير المحالّ التجاريّة وبدء مشروع الفتنة.» كان هذا التصريح أوّلَ تصريح رسميّ من مسؤول سوريّ بهذا المستوى. وتمكن قراءةُ الموقف الاتهاميّ من الفلسطينيّين وفق النقَط الآتية:

١. محاولة الأجهزة الأمنيّة تصديرَ الأزمة إلى عنصرٍ غير سوريّ، إلى حين تمكُّنها من قمع الاحتجاج الذي كان لا يزال في المهد.

٢. استثمار مشاركة بعض فلسطينيي سورية من عناصر «فتح الإسلام» (لبنان)، وخصوصًا من منطقة درعا،[٨] في أعمال الاحتجاج. وهذا ما يجعل الاتهامَ يبدو منطقيًّا للرأي العامّ الخارجيّ.

٣. هذا السيناريو مناسبٌ لتغطية فشل الأجهزة الأمنيّة في قمع الاحتجاج، رغم توجيه ضربةٍ دمويّةٍ عنيفةٍ إلى محتجّي الجامع العمريّ بدرعا مع بداية الحراك. وهو مناسبٌ من ثمّ لتغطية فشل الأجهزة الأمنيّة أمامَ القيادة السياسيّة.

إلّا أنّ رواية تورّط الفلسطينيّين في أحداث درعا واللاذقيّة لم تصمد طويلًا. فقد اجتاحت حركةُ الاحتجاج مدنًا وقرًى سوريّةً لم تطأها قدمُ فلسطينيّ، ثم عمّ الحراكُ معظمَ أراضي القطر من شماله إلى جنوبه.

كان هذا أحدَ أبرز مشاهد الحضور الفلسطينيّ المبكّر في أحداث سورية. أمّا المشهد الثاني فكان متفاعلًا مباشرةً مع هذه الأحداث، وذلك لدى اجتياح قوّات النظام محافظةَ درعا (أواخر نيسان ٢٠١١)، والحصار الذي فرضتْه على المدينة، وبخاصّةٍ حيّ درعا البلد الذي يمثّل معقلَ الثورة هناك. فهذا الحصار أدّى إلى قطع كلّ أشكال الحياة عن المدينة، من طعامٍ وشرابٍ واتصالاتٍ وكهرباء؛[٩] وحينها تطوّع عددٌ من الفلسطينيّين من أبناء مخيّم درعا، الذين يفصل بينهم وبين حيّ درعا البلد حيٌّ سوريٌّ يعقبه وادٍ وعرٌ جعلوه ممرًّا إنسانيًّا للمؤن الغذائيّة ولنقل الجرحى إلى المستشفى الميدانيّ، الذي جُهّز على عجل في المخيّم وبنحو بدائيٍّ جدًّا. وعلى الرغم من اقتصار دوْر أهالي المخيّم على المساندة الإنسانيّة للمحاصرين من أبناء الأحياء المجاورة، فقد نفّذتْ قوّاتُ النظام عمليّاتها، ووضعتْ حواجزَها في كافّة أحياء المدينة، وعلى تخوم المخيّم.

تطوّر عملُ المشفى الميدانيّ في مخيّم درعا، وتحوّلَ إلى أكبر مستشفًى ميدانيّ في المحافظة، إلى حين تدميره في أواخر أيّار ٢٠١٢، بعد قصفٍ مركّزٍ على المخيّم إثر تشكيل أولّ مجموعةٍ مسلّحةٍ داخله. ويمكن أن نعزو عدمَ ضرب النظام للمشفى الميدانيّ طوال الفترة السابقة إلى نقطتين أساسيّتين:

---

(٢) يقع مخيّمُ اللاجئين الفلسطينيّين في درعا على مسافة أقلّ من ٣٠٠ متر عن مركز المحافظة.

(٣) هي الصحيفة اليوميّة الخاصّة الوحيدة في سورية، يموّلها رامي مخلوف، وهي أقربُ إلى الصحف الرسميّة في تعاطيها مع الأحداث العامّة الخاصّة بسورية.

(٤) **الوطن**، ٢٠١١/٣/٢٢.

(٥) كنتُ في درعا في ذلك اليوم بالمصادفة، وعاينتُ حجم المتظاهرين الذين جاؤوا من حيّي البلد والمحطّة، السوريّيْن في غالبيّتهم العظمى.

(٦) انظر موقع الأونروا الرسميّ، تعداد اللاجئين الفلسطينيّين في مخيّم درعا http://www.unrwa.org/atemplate.php?id=405

(٧) يدرك سكّانُ سورية أنّ الإعلام المحلّيّ لا يستطيع أن يورد تقريرًا مفصّلًا عن الجهة التي تقف خلف أيّ حدث من دون مباركة الجهات الرسميّة.

(٨) كان من بين قادة «فتح الإسلام» ثلاثةٌ فلسطينيين من درعا، بينهم الناطقُ باسمه: أبو سليم طه.

(٩) يُذكر أن حيّ درعا البلد تصله مياهُ الشرب من ينابيع بلدة المزيريب (١١ كيلومترًا عن مركز المحافظة) التي يشكّل الفلسطينيون نحو ثلثَي سكانها. لذلك قام أهالي البلدة باقتحام مضخّة المياه في البلدة، وطردِ مَن فيها من عناصر الحماية التابعة للجيش النظاميّ، وتشغيلِ المضخة على حيّ درعا البلد بعد قطع الماء لعدّة أيّام.

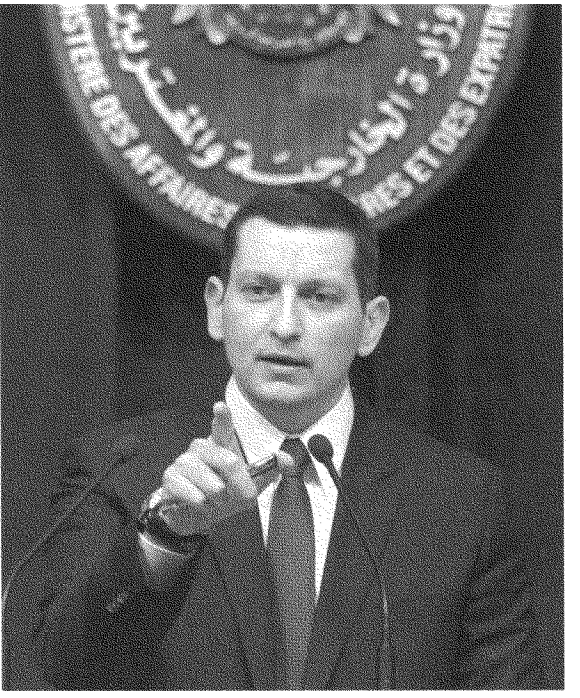

. الحساسيّة الوطنيّة للمخيّمات الفلسطينيّة، التي يشكّل ضربُها حرقًا لأهمّ أوراقِ النظام السياسيّة التي يبني عليها نظريّةَ المؤامرة.

. الرغبة في تحييد أبناء المخيّم من المشاركة الميدانيّة عسكريًّا، نظرًا إلى الخبرات التي يمتلكها قسمٌ كبيرٌ منهم، وخصوصًا في معارك المدن التي خبروها في الحرب اللبنانيّة.

في الأشهر الأولى للثورة، وبعد اندلاع أعمال الاحتجاج في درعا واللاذقيّة تحديدًا، وتأثّرِ الفلسطينيّين بما يجري هناك على ما ذكرنا، تطوّرت الأحداث في حيّ السكنتوري في اللاذقيّة حتّى قرّر النظامُ قصفه في آب ٢٠١١، فوجّه إنذارًا إلى أهالي مخيّم الرمل بالخروج خلال ثلاث ساعات. وبخلافِ ما أشيعَ يومها عن قصفٍ مركّزٍ على المخيّم من قبل الزوارق الحربيّة النظاميّة، فإنّ القصف حقيقةً تركّز على الحيّ السوريّ المجاور، ولم يتعرّض المخيّمُ إلّا لقصفٍ متقطّعٍ على أطرافه أدّى إلى سقوط ثلاثة شهداء وتضرُّرِ بعضِ البيوت بطلقاتٍ رشّاشة.[١٠]

مخيّم اليرموك وانفجار دمشق

في صباح ٢٠١٢/٧/١١ وُجدتْ جثثُ ١٦ مجنّدًا من جيش التحرير الفلسطينيّ، كانوا قد اختُطفوا قبل أسبوعين على طريق حلب ـ حماه الدوليّة أثناء عودتهم إلى منازلهم من الخدمة الإلزاميّة، مرميّةً في إحدى قرى إدلب. كان النبأُ صادمًا للمخيّمات الفلسطينيّة، ولاسيّما حلب التي ينتمي الضحايا إلى مخيّماتها. هذا، وقد تبادل النظامُ والمعارضةُ الاتهامات.[١١]

في ٢٠١٢/٧/١٣ خرجتْ من مساجد مخيّم اليرموك في دمشق، بعد صلاة الجمعة، تظاهراتٌ تندّد بمجزرة حلب، وعادت جميعُها بسلام، إلّا تظاهرةً خرجتْ من شارع فلسطين، المتاخمِ لحيّ التضامن الذي يتمركز فيه «الجيشُ السوريّ الحرّ» بكثافة، إذ أطلق الأمنُ النار عليها، فسقط ٤ شهداء فلسطينيّين. واستدعى ذلك تدّخلَ بعض المسلّحين من حيّ التضامن، فأشتعل المخيّمُ طوال اليوم باشتباكاتٍ بين الطرفين زادت عدد الضحايا والجرحى. وامتدّ العنفُ في اليوم التالي إلى كافّة الأحياء المجاورة، في الحجر الأسود والتضامن وحيّ القدم، ما دفع مئاتِ العائلات من الأحياء السوريّة المتاخمة إلى النزوح إلى المخيّم الأهدأ نسبيًّا. في هذه الأثناء، كان الناطقُ باسم الخارجيّة السوريّة، جهاد مقدسي، يلمّح، على صفحته على الفايس بوك، إلى ضيوفٍ لا يحترمون «أصولَ الضيافة،» مطالبًا إيّاهم

---

(١٠) من معاينةٍ شخصيّةٍ للمخيّم بعد انتهاء القصف في آب ٢٠١١.

(١١) اتهمتْ قيادةُ جيش التحرير الفلسطينيّ، وهي انعكاسٌ لموقف النظام، العصاباتِ المسلّحة بالجريمة (انظر جريدة **الخليج**، ٢٠١٢/٧/١٢، بشأن بيان قيادة أركان جيش التحرير الفلسطينيّ، وتصريح اللواء طارق الخضراء على وكالة سانا ٢٠١٢/٧/١٣)؛ فيما اتهمت المعارضة النظامَ، وقالت بعضُ مصادرها إنّ الجنود انشقّوا عن النظام ثم ألقي القبضُ عليهم (انظر جريدة **الشرق الأوسط** ٢٠١٢/٧/١٢، وكذلك بيان المجلس الوطنيّ السوريّ بشأن الحادث يوم ٢٠١٢/٧/١٢).

(١٢) «أصعب شي أن يكون ببلدك ضيف معزّز مكرّم لأبعد حدّ، وترى البعض منهم لا يحترم أصولَ الضيافة. يعني سوري معارض أو تائه مسلّح، أمر الله وحكم. لكنّ الضيف (بعضهم) يجب أن يلتزم أصولَ الضيافة، وإذا عجز عن ذلك فليرحلْ إلى واحات الديموقراطيّة بالبلاد العربيّة..(رأي شخصي وأرجو عدم الإساءة أو ذكر جنسيّة)..»

بالرحيل إلى «واحات الديمقراطيّة بالبلاد العربيّة.»[١٢] ومنذ ذلك الحين، لا يزال مخيّمُ اليرموك يقدّم خدماتِه الإنسانيّة إلى آلاف الأُسر النازحة التي لا تزال تحتمي بأزقّته، ويدفع لقاءَ ذلك عددًا من الشهداء والمعتقلين والجرحى، حتّى تجاوز عددُ شهداء مخيّم اليرموك وحده ١٧٠ شهيدًا،[١٣] أكثرُ من ثلاثة أرباعهم في الأشهر الثلاثة الأخيرة (فيما وصل التعداد الكليّ للشهداء إلى ٦٠١ شهيدًا فلسطينيًّا).

الموقف الفلسطينيّ من أحداث سورية

مثّلت الحالة السوريّة أكثرَ حالات الثورات العربيّة تعقيدًا وحرجًا للسياسة الفلسطينيّة، المتحالفةِ أو المتخاصمةِ مع النظام. وعلى العموم، يمكن القول إنّ الموقف الفلسطينيّ تأثّر بعدّة عوامل، أهمُّها:

- الذاكرة الثقيلة في وعي الفلسطينيّين لتجاربَ مريرةٍ في الأزمات العربيّة، بدءًا من حرب أيلول ١٩٧٠ ـ ١٩٧١ في الأردن، وانتهاءً بمأساة فلسطينيّي العراق التي لا تزال قائمةً إلى اليوم.
- حساسيّة وضع النظام السوريّ، الذي رسم خلال السنوات الماضية معادلًا مهمًّا في دعم القضيّة الفلسطينيّة، سياسيًّا وفي ما يتعلّق بإيواء فصائل المقاومة.
- التناقضات الفلسطينيّة الداخليّة، والخشية من استنهاضها في ظلّ الفوضى التي يمكن أن تجتاح المخيّمات؛ وهو ما عكس موقفًا متقاربًا بين فتح وحماس من هذه القضيّة.

ضمن هذه المحدّدات، تمكّننا رؤيةُ ثلاثة مواقف فصائليّة مؤثّرة، هي: مواقف فتح، وحماس، والجبهة الشعبيّة ـ القيادة العامّة. وفي حين أنّ تأثير موقف فتح وحماس سياسيّ في الدرجة الأولى، فإنّ تأثير القيادة العامة ميدانيّ أكثر منه سياسيّ. ويمكن القول إنّ مجمل الموقف الفلسطينيّ الفصائليّ وقف خلف هذه المواقف الثلاثة، وهي على النحو الآتي:

١ـ **فتح**: وجود فتح في سورية ضعيفٌ تنظيميًّا، بسبب خصومتها التاريخيّة مع سورية منذ خلافات عرفات ـ حافظ الأسد أيّام حرب لبنان. ومع ذلك، لم تأخذْها هذه الخصومةُ إلى موقفٍ مناهضٍ للنظام أو مؤيّدٍ للثورة، انسجامًا مع خطّها العامّ الذي لم يتحمّسْ للثورات العربيّة. وبقيتْ على هذا الموقف حتّى في أشدّ اللحظات دمويّةً، كما في بيان الرئاسة الفلسطينيّة بعد مجزرة مخيّم اليرموك يوم ٢٠١٢/٨/٢ حين طالبتْ ـ كما حماس ـ بتحييد المخيّمات[١٤] (كانت تصريحاتُ ياسر عبد ربّه[١٥] هي التصريحات الوحيدة للسلطة التي تقودها فتح والتي حمّلت النظامَ المسؤوليّةَ عن الدماء الفلسطينيّة).[١٦] إلا أنّ تصريحات فتح والأطر المحسوبة عليها لم تتوقّفْ عن مهاجمة أحمد جبريل بشكل خاصّ، وعن تحميله مسؤوليّةَ زجّ الفلسطينيّين في الصراع؛[١٧] فيما كانت وسائلُ الإعلام الرسميّة الفلسطينيّة تتحفّظ عن مهاجمة النظام السوريّ أو التعليق على الأحداث هناك.[١٨]

٢ـ **حماس**: كان موقفُ حماس في الأحداث هو الأصعبَ، والأدقَّ، والأكثرَ حرجًا وإثارةً للجدل فلسطينيًّا. فالنظام السوريّ قدّم للحركة مكانًا تلتجئ إليه، في الوقت الذي أوصد فيه العالَمُ أبوابَه في وجهها؛ وقدّم لها من تسهيلات العمل السياسيّ والإعلاميّ وربّما العسكريّ الشيءَ الكثير.

وقد وصلت العلاقة بين الحركة والنظام إلى ذروتها خلال السنوات الأخيرة التي سبقت الأحداث. ومع ذلك، فقد تدرّج موقفُ حماس: من الصمت، إلى الحياد المعلن، فإلى الاستنكار العمليّ لممارسات النظام بعد خروج الحركة من سورية. ووصل الأمرُ بخالد مشعل، في مؤتمر حزب العدالة والتنمية في أنقرة يوم ٢٠١٢/٩/٣٠، حدَّ إعلان وقوف حماس إلى جانب ثورة الشعب السوريّ، الأمرُ الذي عدّه كثيرون قطْعًا لشعرة معاوية التي بقيتْ متصلةً مع النظام خلال عام ونصف قبل التصريح.

وعلى العموم فإنّ موقف حماس، في وصفها أكبرَ فصيل فلسطينيّ موجود في سورية، ساهم في تأخير المواقف الصفْريّة الحادّة لبعض الفصائل لمصلحة النظام، وخصوصًا داخل فصائل «التحالف» الذي كانت حماس تقوده عمليًّا؛ وساهم موقفُها، إلى جانب موقف فتح، في صناعة الحياد الفلسطينيّ العامّ. ومع ذلك فإنّ حماس تعرّضتْ لنقدٍ لاذعٍ من طرفَي المعادلة السوريّة (بخلاف فتح مثلًا). ونظرًا إلى وزنها في الشارع، وبخاصّةٍ الشارع السوريّ، فإنّ موقفها المحايد رُفض من النظام الذي عدّه نكرانًا للجميل، ومن المعارضة التي عدّته تخلّيًا عن مبادئ الثورة التي

---

(١٣) إحصائيّة خاصّة غير منشورة أعدّتها «مجموعة العمل من أجل الفلسطينيّين في سورية.»

(١٤) وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينيّة (وفا)، ٢٠١٢/٨/٣، حول بيان الرئاسة عن مجزرة اليرموك ومطالبتها بتحييد المخيّمات.

(١٥) لا ينتمي عبد ربّه إلى حركة فتح، لكنّه المسؤول الإعلاميّ في سلطتها، وهو معروف بعدائه الشخصيّ للنظام السوريّ منذ انشقاق عام ١٩٨٩ الذي قاده داخل الجبهة الديمقراطيّة لتحرير فلسطين في دمشق.

(١٦) رويترز، ٢٠١٢/٨/٣.

(١٧) وكالة معًا الإخباريّة، ٢٠١٢/٨/٤، حول تصريح الدائرة السياسيّة للمنظّمة بتحميل جبريل مسؤوليّة زجّ الفلسطينيّين في الصراع بسبب تسليحه للمخيّمات.

(١٨) **الحياة**، لندن، حول صدور تعليمات لوسائل الإعلام الحكوميّة في رام الله بتجنّب الحديث عن أخبار سورية، ٢٠١٢/٧/١٥، فيما نفت السلطة ذلك بعد يوم واحد. انظر **القدس العربي**، لندن، «السلطة تنفي إصدار تعليمات لوسائل الإعلام،» ٢٠١٢/٧/١٦.

تلتزمها حماس كحركة تحرّر.[١٩] أما الحلّ فقد نظرتْ إليه الحركة على مرحلتين:

الأولى تمثّلتْ في قناعتها بإيجاد حلّ سياسيّ للأحداث، وبخاصّةٍ في بدايتها. وطُرحتْ فكرةُ توسيط خالد مشعل لدى مجموعات الاحتجاج، ولاسيّما في درعا ودوما، لما للرجل من شعبيّة وثقل في الشارع السوريّ، وفي هاتين المنطقتين على وجه الخصوص. وقد أبدى مشعل استعدادَه لذلك، بشرط وجود ضمانات بتلبية مطالب المحتجّين من أعلى رأس في السلطة، أي الرئيس بشّار الأسد، الذي كان قد قاطع مشعل بعد رفض الأخير طلبَه الردَّ على الشيخ القرضاوي[٢٠] (الذي أيّد الثورةَ منذ اليوم الأول وحرّض على النظام في خُطب الجمعة). ونتيجةً لهذا، لم تحصل أيّةُ محاولات للتوسّط.[٢١] ثم حدثتْ محاولاتٌ لإيجاد مخرج سياسيّ بالاتفاق بين مختلف حلفاء تيّار المقاومة، وبخاصّةٍ حزبُ الله وحركةُ أمل في لبنان،[٢٢] حتّى وقت متأخّر من الأزمة. لكنّ يبدو أنّ كلّ هذه المحاولات اصطدمتْ بواقع فقدان الضمانات من قِبل النظام من جهة، وعدم القدرة على إيجاد منبرٍ جامعٍ للثورة السوريّة من جهة ثانية؛ إضافةً إلى فوات أوان الحلّ، وخصوصًا في المراحل المتأخّرة حيث ارتفعتْ نسبةُ القتل اليوميّ على نحوٍ ملحوظ، وأصبح الحديثُ عن حلّ سياسيّ ضربًا من ضروب العبث.

الثانية: هي قناعة الحركة بصعوبة إيجاد حلّ سياسيّ للأزمة. وهذا ما لمّحتْ إليه عمليًّا من خلال خروج قيادتها من سورية، ورفضِ مشعل لقاءَ الأسد بناءً على طلب الأخير يوم ٢٠١٢/١/١٤ حين التقى علي مملوك مديرَ المخابرات السوريّة،[٢٣] ثم مغادرة مشعل دمشق نهائيًّا يوم ٢٠١٢/١/١٧.

---

(١٩) ظهرتْ هذه المفارقة في الموقف من خلال وسائل إعلام الطرفين، وخصوصًا صفحات التواصل الاجتماعيّ. فقيادات المعارضة، كالإخوان المسلمين السوريّين، الجهة الأقرب إلى حماس إيديولوجيًّا، انتقدتْ مواقفَ حماس؛ وكذلك الأمر بالنسبة إلى النظام الذي وجّه صفحاته لانتقاد حماس ووصفها بنكران الجميل.

(٢٠) **الشرق الأوسط**، «مشعل وحماس.. رحلة عمر، مشعل والأزمة السوريّة،» ٢٨ سبتمبر ٢٠١٢.

(٢١) **السفير**، «حماس وسوريا.. عتب لا قطيعة،» سامي كليب، ١٧ ديسمبر ٢٠١١.

(٢٢) **السفير**، «وفد من حماس يلتقي نصر الله لبلورة مبادرة للأزمة السوريّة،» قاسم قصير، ٢٠١٢/٨/٢.

(٢٣) الجزيرة نت، عمان، مشعل تجنّب لقاء الأسد قبل مغادرة دمشق، محمد النجار، ٢٠١٢/٢/١٩،
http://www.aljazeera.net/mob/f64516034-dff-4ca19-c10122741-d17432/ab318b39612-f-4700-bb4d-6aefc374fc14.

٣ـ **الجبهة الشعبيّة ـ القيادة العامّة:** هي المنظمة الفلسطينيّة الألصق بسياسات النظام السوريّ، وهو يعتمد عليها أكثر من أيّ فصيل آخر، بما في ذلك تنظيمُ «الصاعقة» المسلّح التابع لحزب البعث بفرعه الفلسطينيّ، والخاضع خضوعًا تامًّا للنظام. وربما يُعزى ذلك إلى أنّ فكرة تأسيس «الصاعقة» نشأتْ ونمت بين يدي صلاح جديد، منافسِ حافظ الأسد الأقوى في صفوف الحزب؛ وقد تمكّن الأسد من إقصائه وحبسه سنة ١٩٧٠ حين تولّى السلطة في سورية تحت ما سمّي حينها «الحركة التصحيحيّة» لمسار الحزب.

كان موقفُ «القيادة العامّة» في سوريا، رغم وجودها الضعيف والرمزيّ داخل فلسطين، مهمًّا لأنها الأقوى والأكبر هناك، ولأنها تمتلك قوّةً وخبراتٍ عسكريّة لا يستهان بها، ومن ثم فإنّ موقفها ذو تأثير مباشر في أحداث سورية. مع بداية الأحداث، التزمت الجبهة موقفين تجاه الأحداث: الأوّل فرديّ، هو الإيمان برواية النظام، وهذا ما ظهر في تصريحات قادتها وإعلامهما الخاصّ. [٢٤] والثاني جماعيّ صدر عن فصائل التحالف، أو الفصائل الفلسطينيّة عمومًا، وكانت الجبهة تلتزم فيه موقف الحياد. الجدير بالذكر هنا أنّ شائعاتٍ كثيرةً سرت مع بداية الأحداث عن مشاركتها في قمع المتظاهرين، إلا أنّها كانت مستوحاةً من تصريحات قيادة الجبهة ضدّ الثورة، ومن حالة التأهّب العسكريّ الذي تقوم به الجبهة أيّام الجمعة حول مقارّها، وخصوصًا بعد مهاجمة مبنى «الخالصة.» وعزّز هذه الشائعاتِ وجودُ مقارّ للجبهة، وخصوصًا في مخيّم اليرموك، كان يستخدمها الأمنُ السوريُّ محطّةَ وقوف أو استراحة. لكنْ لا دليلَ ملموسًا على القمع في ذلك الوقت المبكّر.

في موقف القيادة العامّة محطّتان مهمّتان أشعرتاها بالخطر وبضرورة حسم موقفها لمصلحة النظام: حصارُ مبنى «الخالصة» وإحراقُه [٢٥] في مخيّم اليرموك بتاريخ ٢٠١١/٦/٦، ومقتلُ مجنّدي جيش التحرير الفلسطينيّ وما تبعه من أحداث في المخيّم. هاتان المحطّتان دفعتا الجبهة إلى اتخاذ مواقف عمليّة بعد موقفها النظريّ في تأييد رواية النظام، فشكّلت اللجانَ الأمنيّة المسلّحة في المخيّمات، رغم اعتراض الفصائل الفلسطينيّة عليها وعدم مشاركتها فيها. وقد اعتبرتْ فصائلُ الثورة السوريّة هذه اللجانَ وجهًا للنظام، وبخاصّةٍ في مخيّم اليرموك. ويقوم موقفُ القيادة العامّة هذا على سببين رئيسين:

ـ بخلاف حماس، ليست للقيادة العامّة أيّةُ خيارات في حال سقوط النظام؛ فكلُّ «بيْض» الجبهة في السلّة السوريّة، التي إنْ سقطتْ فسيتكسّر البيضُ بالضرورة.

ـ الرعاية السوريّة للقيادة العامّة منذ بداياتها، فضلًا عن الدعم الماليّ من إيران وحزب الله رغم نضوبه من جميع الجهات المانحة لها. [٢٦]

خاتمة وخلاصات

يطغى موقفُ الحياد على الرأي العامّ في الشارع الفلسطينيّ في سورية، مع اتجاه واضح للتنديد بممارسات النظام. وبحكم ما عاشه الوعيُ الفلسطيني من أحداث، فإنّ موقفه العامّ هذا يجمع بين العقلانية و«العاطفيّة المبدئيّة.» ويمكن تلخيصُ الحالة كالآتي:

١ـ الفلسطينيّون في سورية كانوا في قلب المشهد السوريّ، من خلال حضورهم السياسيّ أو الميدانيّ الإنسانيّ.

٢ـ نسبة الشهداء الفلسطينيّين إلى الشهداء السوريّين توضح تماسكًا اجتماعيًّا بين المكوّنين، إذ تشكل النسبة ١,٤٪ من المجموع العام للشهداء، فيما تقارب النسبة العامة للفلسطينيين ٢٪ فقط من السكان (٦٨١ شهيدًا فلسطينيًا حتى تاريخ ٢٠١٢/١١/٢٥).

٣ـ هناك فجوة بين موقف الشارع الفلسطينيّ من الثورة وموقف قيادته السياسيّة. إذ تسيطر على الأول النظرةُ العاطفيّة، فيما تسيطر على الثانية النظرةُ المصلحيّة.

٤ـ نسبة الوجود الفلسطينيّ في سورية غير مؤثّرة من الناحية الميدانيّة، ولكنّها مؤثّرة من الناحية السياسيّة، بسبب مكانة القضيّة لدى طرفَي الصراع في سورية. وهذا ما سبّب حضورًا لموقف الأقلّيّة الفلسطينيّة في سورية أكبرَ من حضور أيّ أقلّيّاتٍ أخرى قد تفوقها حجمًا.

دمشق

---

(٢٤) تُعَدّ إذاعة القدس الواسعة الانتشار في سورية، التابعة للجبهة الشعبيّة ـ القيادة العامّة، الإذاعة السياسيّة الوحيدة المرخّصة في سورية، إضافةً إلى الإعلام الحكوميّ، وقد تبنّت الإذاعة منذ بداية الأحداث موقفًا متماهيًا مع رواية النظام للأحداث.

(٢٥) في يوم ٢٠١١/٦/٦، وبعد تشييع شهداء مسيرة النكسة الذين سقطوا على الحدود مع الجولان المحتل، حمّل المشيعون القيادة العامّة مسؤوليّة ما جرى على الحدود، وهاجم محتجّون غاضبون مبنى «الخالصة» التابع لها وأحرقوه وقتلوا ٣ من عناصرها، بينهم مسؤول إقليم سورية، فيما قتل حرّاس المبنى محتجّيْن.

(٢٦) رغم وقوع حركة الجهاد الإسلاميّ تحت الظرف نفسه من ناحية الدعم الماليّ، إلا أنّها لم تقترب من موقف القيادة العامّة. وقد يكون هذا بسبب وجود ثقل حقيقيّ للحركة داخل فلسطين، بما يعطي ضمانة مهمّة لوجود الحركة في حال تبدّل التحالفات.

الفلسطينيون في سوريا
في ظلّ الثورة

الشهداء الفلسطينيون في الثورة السوريّة

(٢٣/٠٣/٢٠١١ لغاية ١٥/١١/٢٠١٢)

□ يوسف زيدان ❖

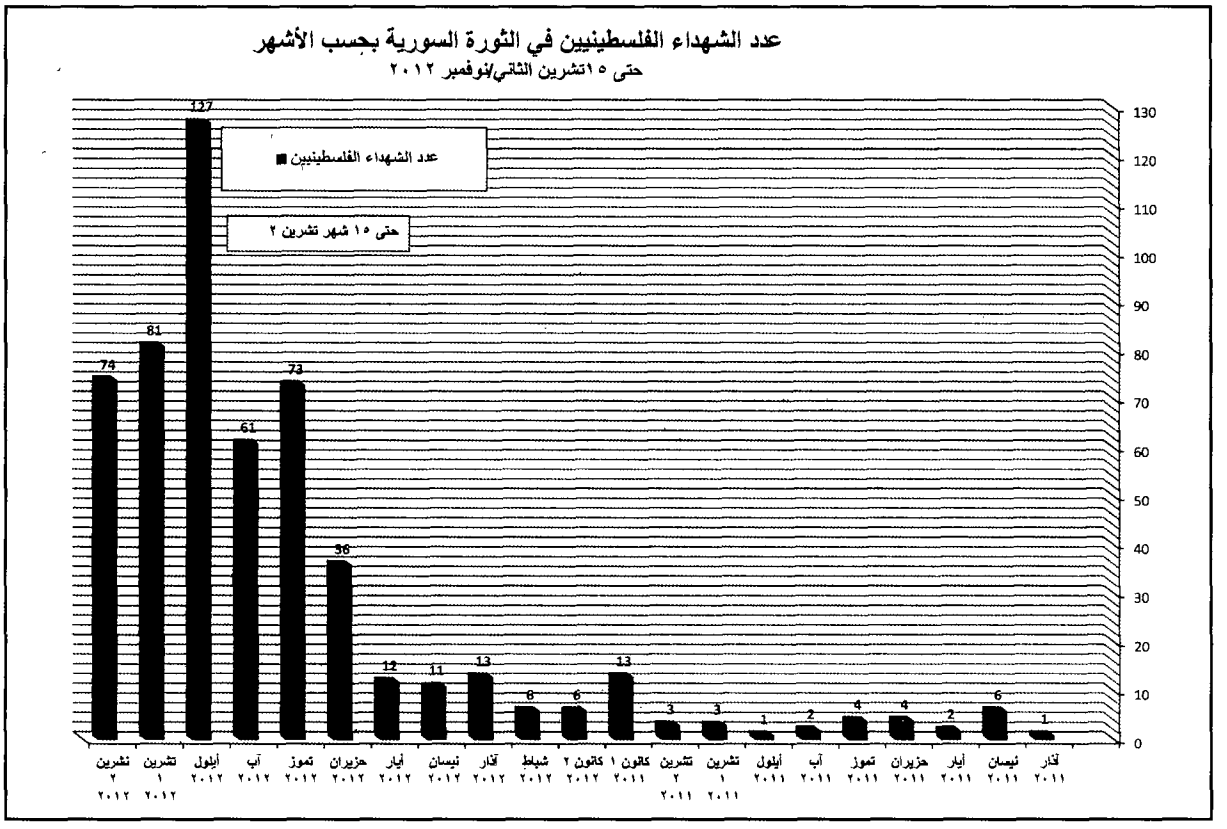

يبلغ عددُ اللاجئين الفلسطينيّين في سوريا، وفق تقديرات الأونروا ومؤسّسات المجتمع المدنيّ ولجان العودة، حوالى ٦٠٠ ألف لاجئ،[١] يمثّلون ٢,٨٪ من مجموع سكان سوريا.[٢] يعيش منهم حوالى ٢٦٠ ألفًا في دمشق؛ و٢٢٠ ألفًا في ريف دمشق؛ و٣٧ ألفًا في حلب؛ و٣٣ ألفًا في درعا؛ و٢٤ ألفًا في حمص؛ و ١٢ ألفًا في اللاذقيّة؛ و١٠ آلاف في حماة؛ والباقي (حوالى ٤ آلاف) يتوزّعون على القنيطرة وإدلب والرقّة ودير الزور والسويداء.[٣] وهم يتركّزون ي ١٣ مخيّمًا و١٤ تجمّعًا، والباقون يعيشون في المدن الرئيسة. وتقع المخيّمات تحت إشراف «الهيئة العامّة للّاجئين الفلسطينيّين» من ناحية الشؤون الإداريّة والأحوال المدنيّة، بينما تقع التجمّعات تحت إشراف البلديّات.

المخيّمات: بحسب الأونروا، يوجد في سوريا ١٠ مخيّمات معترف بها، و٣ مخيّمات غير معترف بها. ولا توجد فروقٌ كبيرة في كيفيّة تعاطي الدولة أو الأونروا معها، باستثناء بعض الخدمات التي لا تقدّمها الأونروا للمخيّمات غير المعترف بها.

❖ باحث وناشط في «شبكة التضامن مع الثورة السوريّة.»

(١) بحسب خارطة ميادين عمل الأونروا ٢٠١١، ولجان العودة، وتجمّع العودة الفلسطينيّ ـ واجب، والباحث الفلسطينيّ طارق حمّود.

(٢) عدد سكّان سوريا، بحسب المجموعة الإحصائيّة السوريّة، أكثر من ٢١,٥ مليون نسمة لعام ٢٠١٢.

(٣) السكّان المقيمون غير السوريّين وخصائصهم (د. سمير حسن و سميّا سعد الدين، عام ٢٠٠٧).

ـ دمشق وريفُها: مخيّم اليرموك (غير معترف به من قِبل الأونروا)، ويعيش فيه أكثرُ من ١٤٥ ألف لاجئ؛ ومخيّم سبينة؛ ومخيّم الستّ زينب؛ ومخيّم خان الشيح؛ ومخيّم خان دنّون؛ ومخيّم جرمانا.

ـ حلب: مخيّم النيرب؛ ومخيّم عين التلّاو حندرات (غير معترف به).

ـ حمص: مخيّم العائدين.

ـ درعا: مخيّم العائدين؛ ومخيّم درعا الطوارئ (القديم والجديد).

ـ اللاذقيّة: مخيّم العائدين (أو مخيّم الرمل، غير معترف به).

ـ حماة: مخيّم العائدين.

التجمّعات: تتركّز التجمّعاتُ الفلسطينيّة في دمشق وريفها (الحسينيّة، الرمدان، دُمّر، دُوما، جوبر، برزة، القابون، ركن الدين، جديّدة عرطوز، دروشا، حوش بلاس، المزّة، الحجر الأسود)، وتجمّعات درعا (المزيريب، جلّين، المعلقة)، وتجمّع طريق الشام في حمص.

حقوق اللاجئين الفلسطينيّين في سوريا

لقي اللاجئون الفلسطينيّون في سوريا احتضانًا من الشعب السوريّ منذ النكبة. فالقانون رقم ٢٦٠ الذي صدر عام ١٩٥٦، وحافظتْ عليه الحكوماتُ السوريّة المتعاقبة، أعطاهم حقوقًا في التملّك والعمل والدراسة والوظائف الحكوميّة والانتساب إلى النقابات والاتحادات المهنيّة. وهذا ما انعكس حالةً من الرضى والاستقرار لديهم (خصوصًا لدى مقارنتهم باللاجئين في لبنان)، فأصبحوا جزءًا من النسيج الاجتماعيّ السوريّ، يتشاركون مع السوريّين أغلبَ الظروف المعيشيّة والسياسيّة والأمنيّة، مع احتفاظ اللاجئين بهويّتهم الوطنيّة وتمسّكهم بحقّ العودة إلى وطنهم.

موقف اللاجئين الفلسطينيّين من الثورة السوريّة

بحكم انتشار الفلسطينيّين على الأراضي السوريّة فقد وجدوا أنفسَهم في قلب الأزمة منذ بداياتها في ٢٠١١/٣/١٨. ورغم أنّ معظمهم اتخذوا بدايةً قرارًا بالحياد الإيجابيّ، فلم يمنعْ ذلك هيئاتٍ نافذةً في النظام السوريّ من محاولة تحميلهم مسؤوليّةَ الأحداث بالزعم أنّ «أطرافًا خارجيّة» هي التي أطلقتْ شرارةَ الاحتجاجات. فمع بداية المظاهرات في درعا ومن ثم اللاذقيّة، في آذار ٢٠١١، سارعت الحكومة السوريّة على لسان نائب رئيس الجمهوريّة، بثينة شعبان، إلى اتّهام عناصر من المخيّم بالوقوف وراء «الفتنة.»[٤] كما حاولتْ صحيفة **الوطن** السوريّة، المقرّبة من النظام، الترويجَ لوجود «عناصر مندسّة» من الفلسطينيّين ضمن حشود المتظاهرين السوريّين في درعا، يقومون بأعمال التخريب والتحريض.[٥] ولكنّ انتشارَ الاحتجاج والمظاهرات إلى مناطق مختلفة في سوريا أبطل هذه الادّعاءات، وبيّن أنّها كانت محاولة فاشلة للإيحاء للرأي العامّ الداخليّ والإقليميّ بأنّ «أطرافًا خارجيّة» هي التي تقوم بالاحتجاج.

بدء تفاعل الفلسطينيّين مع الثورة السوريّة

أ ـ الدور الإغاثيّ. شكّل هذا الدورُ المحورَ الأساسَ الذي اختاره اللاجئون الفلسطينيّون منذ اللحظات الأولى للثورة السوريّة، وبرز في أسبوعها الأوّل أثناء مساعدتهم الجرحى السوريّين ونقل المعونات الغذائيّة والإنسانيّة إلى المناطق المحاصرة داخل درعا البلد. وشكّل مخيّمُ درعا مأوًى لجواره السوريّ أثناء دخول الجيش إلى المدينة؛ وهو ما أدّاه أيضًا مخيّم اللاذقيّة، ومخيّم حمص، ومخيّم اليرموك، ومخيّم خان الشيح، تباعًا. ونتيجةً لهذا الدور، تعرّضتْ معظمُ المخيّمات لمضايقات وحملات أمنيّة، وقُصف بعضُها بشكل متكرّر؛ بل إنّ مخيّمُ درعا تعرّض لتدمير شبه كامل.

مع تصاعد وتيرة الحملة العسكريّة الشرسة التي شنّها النظامُ السوريّ على كافّة المدن والأحياء السوريّة التي شهدتْ تظاهراتٍ وعمليّاتٍ عسكريّة مناوئة للنظام، استقبلت المخيّماتُ الفلسطينيّة، وتحديدًا اليرموك بدمشق، أكثرَ من ٧٠ ألف نازح سوريّ هربوا من القصف الذي تعرّضتْ له الأحياءُ الثائرة في منطقة التضامن والحجر الأسود والقدم ونهر عيشة وغيرها. وقامت جمعيّاتٌ أهليّة وتجمّعاتٌ شبابيّة بتأمينهم في المدارس والجوامع والبيوت،

---

(٤) تصريح شعبان بحسب معظم وسائل الإعلام السوريّة بتاريخ ٢٠١١/٣/٢٧: «ما حدث في اللاذقيّة أنّ مجموعة من مخيّم الرملة – ويؤسفني أن أقول من الإخوة الفلسطينيين – هاجموا وكسروا المحالّ التجاريّة في مدينة اللاذقيّة وبدأوا بمشروع فتنة. وعندما تصرّف الأمن بشكل ممتاز ولم يقبل باستخدام أيّ عنف، خرج أحد المتظاهرين يحمل سلاحًا فقتل رجل أمن واثنين من المتظاهرين.»

(٥) بحسب ما نُشر في صحيفة الوطن السوريّة الموالية للنظام وموقع شام برس بتاريخ ٢٢ و٢٠١١/٣/٢٣ ونقلته أيضًا وسائلُ إعلام متعدّدة منها فضائيّة العربيّة:
ـ تقراء ما يأتي: «خلال المواجهات، كان شيوخُ ووجهاء درعا يوجّهون النداءات عبر مكبّرات الصوت في الجوامع للشباب بالخروج من وسط المدينة والتوقف عن إحداث الفوضى والخراب، إلّا أنهم رفضوا كلّ النداءات. وتبيّن لاحقًا لوجهاء درعا أنّ أغلبيّة من شارك في إحداث الفوضى والخراب كان من المتطرّفين الفلسطينيين، وأنّ أبناء درعا كانوا أقلية.»
ـ اتّهم موقع شام برس «مجموعات من فتح الإسلام تأتي من التجمّعات الفلسطينيّة الموجودة على أطراف درعا إلى وسط المدينة، وتقوم بإطلاق النار لتفجير الأوضاع وإثارة الفتنة للإيقاع بين الدولة والشعب.»
ـ وجّهتْ قناة «الإخباريّة السوريّة» الاتهام إلى تنظيم «فتح الإسلام» على نشراتها وشريطها الإخباريّ مرّات عدّة.

وقدّمتْ لهم ما يحتاجونه من مأوًى وغذاء ودواء. وهـذا مـا أثار حنـقَ النظام السـوريّ وأنصـاره فـي المخيّمات، خصوصًـا أنّ هـؤلاء (كالجبهة الشعبيّة ـ القيادة العامّة وفتح الانتفاضة) فشلوا فـي تحويلهـا إلى كيانـاتٍ داعمةٍ لـه. ومنذ ذلك الحين يتعرّض مخيّما اليرموك ودرعا للقصـف العشوائيّ، الذي أسفر عن سقوط مئات الشهداء والجرحى.

ب ـ المشـاركة في الثورة. عوامل كثيرة أسهمتْ في دخول الفلسطينيّين على خطّ الثورة السوريّة. فالنظـام حـاول اسـتخدامَ قضـيّة فلسـطين، وشـعاراتِ المقاومة والممانعة، ليغطّي بها حربَه علـى شـعبه، ما أثـار حفيظـةَ فلسـطينيّين كثر يَعتبرون فلسـطين قضـيّةَ حريّة وكرامة لا ستارًا يتخفّى خلفه المستبدّون. كما أنّ شراسة النظام فـي القضـاء على الثـورة، مـن دون تمييـز بين سـوريّ وفلسـطينيّ، فاقم الحراكَ الفلسـطينيّ الداعـم للثورة، خصوصًـا بعد تزايد اسـتهداف المخيّمات بالقصـف والتنكيل. وقد أدّى ترهيبُ النظـام وبعضِ الفصـائل الفلسـطينيّة الموالية لـه، عبر الشـبّيحة و«اللجان الشـعبيّة،» إلى ردّة فعل عكسيّة: فقد ازدادت جرأةُ الناشطين عليه، وشـارك فلسـطينيّون في المظاهرات، وتشـكّلتْ مجموعـات ناشـطين عديـدة، منهـا: تنسـيقيّة مخيّـم اليرمـوك ـ الثـورة السـوريّة، وتنسـيقيّة أحـرار مخيّـم اليرمـوك، وتجمّع أحـرار مخيّم اليرموك. وأُسّسـتْ صفحاتٌ إعلاميّة على شبكة التواصـل الاجتماعيّ، منها: شـبكة اتحاد أخبار المخيّمـات الفلسـطينيّة، وشـبكة التضـامن مع الثورة السوريّة.[٦]

شـهد مخيّمُ اليرموك الذي يضـمّ أكبـر عدد من اللاجئيـن خـروجَ مظاهـرات طيّـارة، قصـيرة ومحدودة، طوال أحداث الثورة السـوريّة. لكـنْ في ٢٠١٢/٧/١٣ وقعتْ مجزرةَ التريمسة،[٧] التي قضى فيها أكثرُ من ٢٥٠ شهيدًا سوريًّا، بينهم نساءٌ وأطفال. وكان قـد سـبقها قبـل يومين اكتشـافُ جثـث ١٤ مجنّـدًا من جيش التحرير

إحصائية الشهداء الفلسطينيين خلال الثورة السورية من ٢٠١١-٠٣-٢٣ وحتى ٢٠١٢-١١-١٥		
المنطقة	عدد الشهداء الفلسطينيين	النسبة من العدد الكلي
١- مخيم اليرموك	١٨٤	%٣٤,١٤
٢- مخيم درعا + المحافظة	٥٥	%١٠,٢٠
٣- دوما	٥٤	%١٠,٠٢
٤- مخيم العائدين في حمص + المدينة	٣٨	%٧,٠٥
٥- الحجر الأسود	٣٦	%٦,٦٨
٦- مخيم النيرب وحندرات بحلب + المدينة	٣٢	%٥,٩٤
٧- الحسينية	٢٣	%٤,٢٧
٨- السيدة زينب	١٧	%٣,١٥
٩- التضامن	١٥	%٢,٧٨
١٠- الغوطة بريف دمشق	١٣	%٢,٤١
١١- مخيم العائدين في حماة + المدينة	١١	%٢,٠٤
١٢- مخيم الرمل في اللاذقية + المدينة	٨	%١,٤٨
١٣- المعضمية	٧	%١,٣٠
١٤- مخيم خان الشيح	٥	%٠,٩٣
١٥- قدسيا	٤	%٠,٧٤
١٦- جديدة عرطوز	٤	%٠,٧٤
١٧- مخيم سبينة	٤	%٠,٧٤
١٨- مخيم جرمانا	٣	%٠,٥٦
١٩- ركن الدين	٣	%٠,٥٦
٢٠- بيلا	٣	%٠,٥٦
٢١- مخيم خان دنون	٢	%٠,٣٧
٢٢- برزة	٢	%٠,٣٧
٢٣- حجيرة	٢	%٠,٣٧
٢٤- الذيابية	٣	%٠,٥٦
٢٥- كفر سوسة	١	%٠,١٩
٢٦- قطنا	١	%٠,١٩
٢٧- داريا	١	%٠,١٩
٢٨- نهر عيشة	١	%٠,١٩
٢٩- الضمير	١	%٠,١٩
٣٠- عين منين	١	%٠,١٩
٣١- الكسوة	١	%٠,١٩
٣٢- مخيم الوافدين	١	%٠,١٩
٣٣- القابون	١	%٠,١٩
٣٤- البويضة	١	%٠,١٩
٣٥- دمر	١	%٠,١٩
المجموع الكلي	٥٣٩	%١٠٠,٠٠

(٦) روابط الصفحات:

ـ شبكة التضامن مع الثورة السوريّة: www.facebook.com/Solidarity.Network.For.Syrian.Revolution

ـ إحصائيّات الثورة السوريّة: www.facebook.com/Syrian.Revoultion.Statistics

ـ آيباد الثورة السوريّة: www.facebook.com/Syrian.Revolution.iPad

ـ تنسيقيّة أحرار مخيّم اليرموك - الثورة السوريّة: www.facebook.com/Free.Yarmouk.Camp

ـ اليوم التالي: www.facebook.com/AlywmAltaly

ـ تنسيقيّة مخيّم اليرموك - الثورة السوريّة: www.facebook.com/yarmok.camp

ـ تجمّع أحرارمخيّم اليرموك: www.facebook.com/yarmook.free

ـ اتحاد شبكات أخبار المخيّمات الفلسطينيّة: www.facebook.com/syriancamps

(٧) أورد المركز الإعلاميّ السوريّ توصيفًا لمجزرة التريمسة في ريف حماة: «تم مُحاصرة القرية وقطع الكهرباء وكافة وسائل الاتصالات عنها. وتعرّضت القرية لهجوم من قِبل الجيش النظاميّ السوريّ استخدم فيه المروحيّات، وقام بقصف القرية بشكل عنيف ومتواصل راح ضحيّته ٢٥٠ شخصًا على الأقلّ، من بينهم أطفال ونساء.»

الفلسطينيّ من مخيّم النيرب بحلب.[٨] عندها، خرج أبناءُ مخيّم اليرموك في مظاهرة كبيرة تندّد بالمجزرتين، فواجهها الأمنُ السوريّ بالرصاص الحيّ، موقعًا خمسة شهداء وعشرات الجرحى. وفي اليوم التالي خرجتْ مظاهرة بالآلاف هتف فيها المشيّعون لوحدة الدم الفلسطينيّ السوريّ، ونددوا بالنظام، وغنّوا أغنية «جنّة» التي باتت أيقونةً مميّزةً للثورة السوريّة.

كانت هذه المظاهرة لافتةً من حيث العدد والهتافات والمشاركة الأهليّة، وشكّلت علامةً فارقة في موقف أهالي مخيّم اليرموك الداعم للشعب السوريّ. وعلى إثرها كتب الناطقُ باسم الخارجيّة السوريّة، جهاد مقدسي، على صفحته الفيسبوكيّة في شهر تمّوز الماضي، تعليقًا غير مباشر على انخراط الفلسطينيّين في مناهضة النظام؛ وكتب على تويتر (وحذفه لاحقًا):

«أصعبُ شيء أن يكون ببلدك ضيوف معزّزون مكرّمون لأبعد حدّ.. وترى البعضَ منهم لا يحترمون أصولَ الضيافة. يعني سوريّ معارض أو تائه أو مسلّح.. أمر الله وحكم. لكنّ الضيوف (بعضهم) يجب أن يلتزموا أصولَ الضيافة؛ وإذا عجزوا عن ذلك فليرحلوا لواحات الديمقراطيّة بالبلاد العربيّة.»

الشهداء الفلسطينيّون في الثورة السوريّة

امتزج الدمُ الفلسطينيّ بالدم السوريّ منذ الأسبوع الأوّل للثورة السوريّة. بدأ سقوطُ الشهداء الفلسطينيّين بشكل متقطّع، ثم أخذ منحًى تصاعديًّا في مطلع شهر تمّوز ٢٠١٢. المحطّات الآتية تسلّط الضوءَ على أبرز حالات استهداف الفلسطينيّين:

ـ أوّل سبعة شهداء فلسطينيّين سقطوا في درعا في بداية الثورة السوريّة على يد قوّات الأمن والجيش، وذلك إثر مساعدتهم الجرحى السوريّين ومشاركتهم في فكّ الحصار عن درعا البلد عبر نقل المواد الغذائيّة والأدوية.

ـ أوّل ثلاثة شهداء في مخيّم اليرموك سقطوا على يد الجبهة الشعبيّة ـ القيادة العامّة بعد تشييع شهداء النكسة في ٢٠١١/٦/٧. فقد هاجم مشيّعون مقرّ «الخالصة» التابع للجبهة، ليقينهم أنّ دفع الشباب الفلسطينيّ للتوجّه نحو حدود الجولان في ذكرى النكسة أريد استغلالُه من قِبل النظام وحلفائه من الفصائل الفلسطينيّة كالجبهة الشعبيّة ـ القيادة العامّة.

ـ بين الأشهر الأولى للثورة السوريّة وشهر كانون الأوّل ٢٠١١، سقط ٣١ شهيدًا من مخيّم العائدين في حمص وحماة ومخيّم الرمل في اللاذقيّة على أيدي قوّات الأمن والجيش السوريّ.

ـ في مجزرة العدويّة في حمص سقط بتاريخ ٢٠١٢/٣/١١ أربعةُ شهداء فلسطينيّين من عائلة واحدة، هي آل الحسن.

ـ في مجزرة كرم الزيتون في حمص بتاريخ ٢٠١٢/٣/١١ استشهدتْ عائلة فلسطينيّة كاملة من أربعة أفراد من آل زهرة.

ـ في حزيران ٢٠١٢ استشهد ١٣ فلسطينيًّا في دُوما، معظمُهم بإعدام ميدانيّ على يد الجيش السوريّ وقوّات الأمن.

ـ في ٢٠١٢/٧/١١ استشهد ١٤ مجنّدًا من جيش التحرير الفلسطينيّ من مخيّم النيرب في حلب بعد خطفهم أكثر من أسبوعين، ووُجدتْ جثثُهم في المشفى الوطنيّ في إدلب. وقد تبادل النظامُ والمعارضة الاتهامات، وإنْ أكّدتْ لجانُ التنسيق المحليّة في سوريا أنّ استهدافهم حصل للإيقاع بين الفلسطينيّين والثوّار السوريّين.

ـ في ٢٠١٢/٧/١٣ خرجتْ مظاهرة كبيرة في مخيّم اليرموك في دمشق تنديدًا بمجزرة التريمسة وسقوط شهداء جيش التحرير، فسقط خلالها خمسةُ شهداء باستهداف مباشر من قوى الأمن.

ـ في ١٧ و٢٠١٢/٧/١٨ استُهدف مخيّم اليرموك والحجر الأسود بقذائف الهاون، وسقط عشرةُ شهداء فلسطينيّين وعشراتُ الجرحى.

ـ في ٢٠١٢/٨/٢ قُصف شارعُ الجاعونة في مخيّم اليرموك قبيل إفطار رمضان، فسقط ١٨ شهيدًا وعشراتُ الجرحى.

ـ في حزيران وتمّوز ٢٠١٢ سقط في دُوما وحدها ٣١ شهيدًا جرّاء القصف والإعدامات الميدانيّة.

ـ في أيلول ٢٠١٢ تصاعدتْ حدّة القصف على مخيّم اليرموك والحجر الأسود،

---

(٨) أدانت رئاسة هيئة أركان جيش التحرير الفلسطينيّ في بيان لها قيام مجموعات إرهابيّة مسلّحة بخطف عدد من العسكريّين المجنّدين من جيش التحرير الفلسطينيّ على طريق حماة ـ حلب أثناء توجّههم لقضاء إجازة بين أهلهم وذويهم، ثمّ تصفيتهم بدم بارد. واعتبرتْ أنّ «هذا العمل الإجراميّ الجبان الذي استهدف أبرياء عزّلًا يؤكّد الدور الإجراميّ القذر لهذه المجموعات وارتباطها بالأجندات الغربيّة الصهيونيّة وحقدها الدمويّ الأعمى.»

كما ورد في البيان الرسميّ لفصائل منظّمة التحرير الفلسطينيّة في سوريا: «تنعى فصائل منظمة التحرير الفلسطينية في سوريا شهداء مخيّمات حلب، وتدين بأشدّ العبارات الجريمة البشعة التي ارتُكبتْ بقتل عدد من الشباب الفلسطينيين من مجنّدي جيش التحرير الفلسطيني من أبناء مخيّمات حلب بعد اختطافهم وهم متوجّهون من معسكر مصياف للتدريب إلى مخيّماتهم في حلب.» واعتبر البيان أنّ «أيّ استهداف للفلسطينيين إنّما يستهدف إضعاف مقاومتهم للاحتلال وإضعاف نضالهم المتواصل من أجل العودة إلى ديارهم.»

وكذلك ورد في بيان لجان التنسيق المحليّة في سوريا، بتاريخ ٢٠١٢/٧/١٢: «استشهد اليوم ١٦ شابًّا من مجنّدي جيش التحرير الفلسطينيّ في سوريا، كانوا قد تعرّضوا للخطف منذ نحو أسبوعين لدى قدومهم من معسكر مصياف للتدريب لتمضية إجازاتهم في مخيّمي النيرب وحندرات للاجئين في مدينة حلب. إنّ النظام لم يتوقّف عن محاولاته إشعال الفتنة بين السوريين والفلسطينيين، ولم يكتف بالعمل ليس فقط لتحييد فلسطينيي سوريا عن الثورة والثوار وإنما محاولة تأليبهم وتخويفهم من الثورة ومآلاتها. ولذلك فإننا نعتبر نظام الفتنة الأسديّ هو المشتبه الأول عن هذه الجريمة البشعة. إننا في لجان التنسيق المحلية، إذ نتوجّه بالعزاء لعائلات الشهداء وللمخيّمات الفلسطينية في سوريا، ندين هذه الجريمة النكراء من ضمن جرائم النظام اليوميّة التي لا تستثني أحدًا على الأرض السوريّة. ونؤكّد أنّ هؤلاء الشهداء هم شهداء سوريا وفلسطين، شهداء الحريّة والكرامة، ولن ينال من وحدة الحلم بالحريّة أيّ من محاولات النظام اليائسة لزرع الفتن بين الشعبين.»

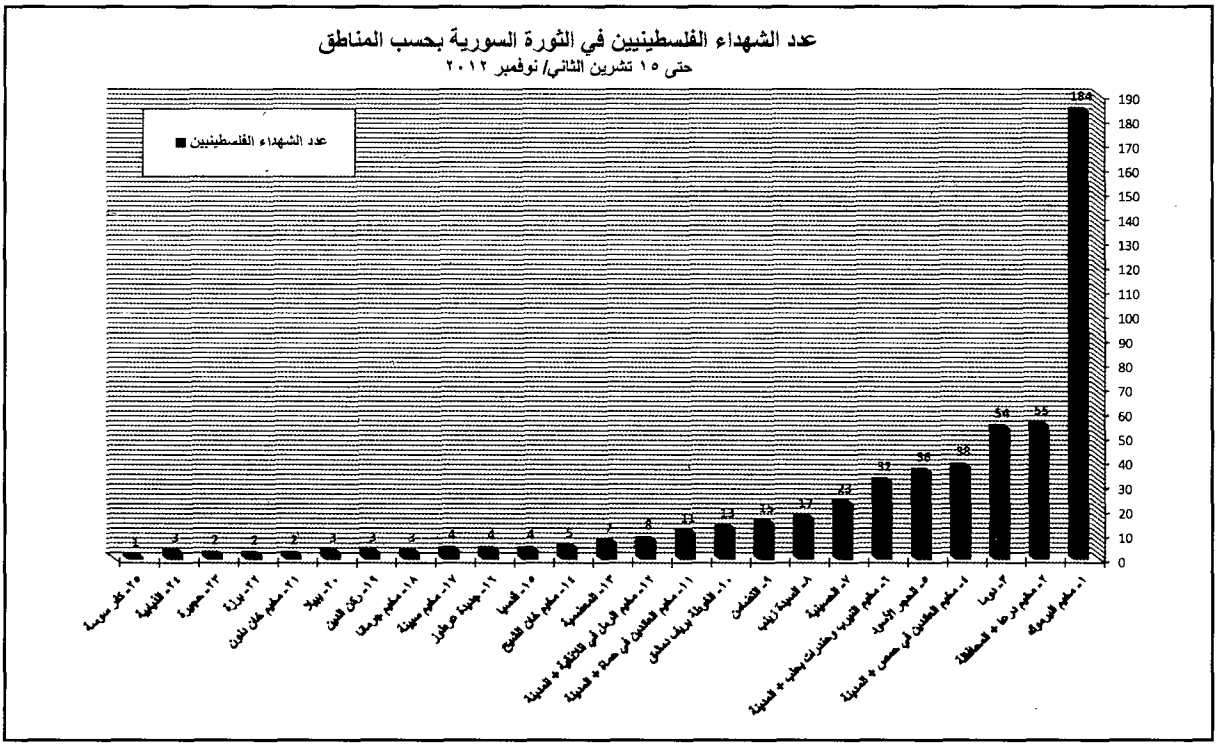

ونجم عنه سقوطُ أكثر من ٣٥ شهيدًا. كما سقط ٤ شهداء في قصف مخيّم النيرب في حلب، و١٥ شهيدًا في السيّدة زينب وحجيّرة والحسينيّة والذيابيّة التي شهدتْ مجزرةً قضى فيها أفرادٌ من عائلة أبو راس الفلسطينيّة. كما سقط في الحجر الأسود، الذي يقطنه جزء من الفلسطينيّين، أكثرُ من ٣٥ شهيدًا جرّاء القصف والإعدامات الميدانيّة التي تلت دخولَ الجيش السوريّ.

- في تشرين الأوّل ٢٠١٢ سقط في مخيم اليرموك ١٧ شهيدًا نتيجة القصف العشوائيّ وبعض حالات الإعدام الميدانيّ. كما سقط في مخيّم درعا ١٤ شهيدًا جرّاء القصف الشديد على المخيّم. وفي مخيم الحسينيّة سقط ١٢ شهيدًا، منهم عائلة كاملة، جرّاء قصف الجيش.

- بين بداية تشرين الثاني ٢٠١٢ ومنتصفه، سقط في اليرموك أكثر من ٥٠ شهيدًا، وفي مخيّم درعا ٦ شهداء، جرّاء القصف العشوائيّ.

إحصائيات الشهداء الفلسطينيّين

بسبب التضييق الإعلاميّ والأمنيّ الذي مارسه النظام، كان إحصاءُ عدد الشهداء والمعتقلين بالغ الصعوبة في بعض المناطق. وعلى الرغم من مضيّ أكثر من ٢٠ شهرًا على الثورة، فإنّه لم تصدر إحصائيّة رسميّة موثّقة للشهداء الفلسطينيّين من قِبل مؤسّسة معتمدة، وإنّما جرى توثيقُ الشهداء من قِبل عدّة مجموعاتٍ ناشطة، منها: قاعدةُ بيانات الثورة السوريّة، وشبكةُ التضامن مع الثورة السوريّة، فضلًا عن إحصائيّة الباحث الفلسطينيّ طارق حمّود. ورغم المجهود الكبير في عمليّات الإحصاء هذه، فقد تبيّن حصولُ العديد من الأخطاء: كوجود أسماء لشهداء سوريّين، وأسماء لجرحى لم يُستشهدوا، خصوصًا في مخيّم الرمل في اللاذقيّة؛ وكذلك وجودُ نقص في عدد من الأسماء المؤكّدة. وبعد مقاطعة الإحصائيّات السابقة المذكورة بعضها مع بعض، والاعتماد على بيانات ناشطين وشهود عيان، وبالتعاون مع تنسيقيّة مخيّم اليرموك - الثورة السوريّة، صدرتْ إحصائيّةٌ شاملة تضمّ أسماءَ الشهداء، وتواريخَ الاستشهاد وظروفَه، مع الإشارة إلى الأعداد التي لم يتمكّن أحد من توثيقها بشكل دقيق.

وعليه، فإنّ عدد الشهداء الفلسطينيّين منذ بدء الثورة السوريّة في آذار ٢٠١١ وحتّى ٢٠١٢/١١/١٥ قد بلغ ٥٣٩ شهيدًا موثّقين بشكل دقيق، وحوالى ٤٥ شهيدًا لم توثّقْ أسماؤهم لصعوبة التوثيق في بعض المناطق ولدفن العديد من الشهداء المجهولي الهويّة في ظروف أمنيّة مشدّدة وبشكل عاجل. ويشمل هذا العدد غير الموثّق ضحايا مجازر وإعدامات ميدانيّة لعائلات كاملة ضمّت بينها شهداءَ فلسطينيّين (مثل أفراد من عائلتيّ عبد ربّه والبشر في مجزرة دُوما بتاريخ ٢٠١٢/٦/٢٨، وأفراد من عائلة المصري في مجزرة يلدا بتاريخ ٢٠١٢/٩/١٤، وأفراد من عائلة أبو راس في مجزرة الذيابيّة بتاريخ ٢٠١٢/٩/٢٦). وبذلك يكون العددُ الكليّ للشهداء الفلسطينيّين في الثورة السوريّة حتّى تاريخ ٢٠١٢/١١/١٥ بحدود ٥٨٤ شهيدًا.

أما بالنسبة إلى عدد الجرحى والمعتقلين، فإنّه لم يتسنَّ إعداد إحصائيّة دقيقة بالأسماء. ويقدّر عددُ الجرحى الفلسطينيّين بحوالى ١٨٠٠، وعددُ المعتقلين بحوالى ٧٠٠.

دمشق

الفلسطينيون في سوريا
في ظلّ الثورة

فلسطينيّو سوريا في ثورتها

□ قيس مصطفى ❖

كانت سهرة على سطح أحد بيوت مخيّم خان الشيح (٢٢ كيلومترًا إلى جنوبيّ دمشق). كان الشباب يحتسون خمرتَهم عندما اتفقوا على أنّه ينبغي ـ من دون تقصير ـ أن تكون لمخيّمات الفلسطينيّين في سوريا حصانتُها وحمايتُها. لكنّ نظرةً إلى الأفق، في ذلك الليل المفعم بأصوات القذائف المنهمرة على المناطق المجاورة، كانت تقول: إنّ هذا السواد الذي يعمّ الآن سيَشمل حياةَ الجميع.

كان السوريّون قبل ثورتهم يهولهم منظرُ طفلٍ فلسطينيّ يواجه دبّابةً بحجارةٍ يملأ بها جيوبه. وكانوا يتبرّمون من إصرار الفلسطينيّ على انشغالاته العامّة. ولطالما أخذوا عليه جدّيّته وصرامته. الأهمّ أنّ الفلسطينيّ كان، للسوريين، رمزًا، مجرّدَ رمز، للإعجاب أو للذمّ. لم يكن مستقلًّا في تحديد هويّته، بل كان الآخرون يؤطّرونه باستمرار، ويصنّفونه في تصنيفاتٍ شتّى، معظمُها لا يرتقي إلى ما يطمح إليه في تصوّره لذاته، ذاتِه شبهِ المقصاة عن القرار الفلسطينيّ، أو عن الفاعليّة الفلسطينيّة التي تبدو أكثر نضجًا في فلسطين المحتلّة والمخيّمات اللبنانيّة.

❖ شاعر فلسطيني. وقد كُتب هذا المقال قبل تعرّض مخيّم اليرموك للقصف الجوّي وهجرةِ معظم سكّانه في الأسبوع الثالث من كانون الأول ٢٠١٢.

وكان يُنظر إلى الفلسطينيّين اللاجئين في سوريا على أنّهم «عملاء» للبعث السوريّ. بل إنّ تنظيمات فلسطينيّة كبيرة انشقّت عن الجسم الفلسطينيّ بهمّة المخابرات السوريّة، وهي التي تعكّر صفوَ الفلسطينيّين وانسجامهم مع المحيط السوريّ في هذه الأيّام... هذا إنْ جاز استخدام كلمة «صفو» في الحديث عن لاجئين يعيشون في بلادٍ مشتعلة.

أنهى الشبابُ سهرتَهم من دون طمأنينة؛ فالمخيّمات الفلسطينيّة في سوريا متروكة لمصيرها، ولا أحد يسأل عنها. يتذكّر فلسطينيّو سوريا الكابوسَ الذي عاشه اللاجئون الفلسطينيّون في العراق عشيّة الاحتلال الأمريكيّ. كما يتذكّرون سيلَ المجازر التي لحقتْ بهم حين لم يكن هناك مَن يحميهم. أمّا عند الحديث عن أحوالهم هنا، في ظلّ ثورة الشعب السوريّ، فإنّه لا بدّ من الوقوف عند حوادثَ مفصليّةٍ شكّلتْ نقطَ تحوّلٍ في السلوك الفلسطينيّ خلال هذه الثورة.

الحدث الأوّل: انخراطُ فلسطينيّي مخيّم درعا في دعم الثورة السوريّة. في بداية هذه الثورة، عمل عامّةُ الفلسطينيّين، وباتفاقٍ وجدانيٍّ مضمر، على التزام الحياد إزاء مجريات الصراع، الذي كان محصورًا بين متظاهرين سلميّين سوريّين وقوّاتِ الأمن السوريّ الموغلة في القتل. وقد التزموا الحيادَ في البداية مع أنهم كانوا يعرفون كيف تاجر النظامُ السوريّ بقضيّتهم، أسوةً بكلّ الأنظمة العربيّة، وكيف جهد في فصلهم بعضِهم عن بعض من خلال اختراق المخيّمات بالمُخْبرين (قد يمنحهم بعضَ الامتيازات مقابل مجرّد الوشاية بفتًى يضع ملصقًا لشهيدٍ على أحد جدران المخيّمات)؛ كما أنّهم كانوا يعرفون كيف استخدم هذا النظامُ اسمَ فلسطين لأشرس فروع المخابرات (كان «فرع فلسطين» هذا، وما يزال، من السوء بحيث كاد بعض السوريّين والفلسطينيّين أن يكفروا بفلسطين نفسها. وقد تهكّمتُ ذات مرّة بأنّنا عندما نعود إلى فلسطين سنستحدث فرعًا للمخابرات ونسميّه «فرع سوريا»). وعلى مستوى التصوّر الشعبيّ السوريّ المعلّب، كان الفلسطينيّون جزءًا من منظومة «الممانعة» التي ابتدعها النظامُ السوريّ، وكانت هناك خشيةٌ من أن ينحاز الفلسطينيّون إلى النظام السوريّ.

لكنّ مخيّم درعا كسر ذلك التصوّر، وذلك باشتغال أبنائه في أعمال الإغاثة وإيواء الناشطين السوريّين، وهو ما حقّق للفلسطينيّين رصيدًا وافرًا من الاحترام في مجريات الثورة. وستصير هناك «وحدةُ حالٍ» بين سكّان درعا وأهل المخيّم، الذي هُدم لاحقًا وشُرّد أبناؤه (أسوةً بما حصل لاحقًا لمخيّم الرمل في اللاذقيّة، ومخيّم حمص). هنا بدأ الغمام يتبدّد، وبات واضحًا تموضعُ كثير من الفلسطينيّين إلى جانب الشعب السوريّ.

الحدث الثاني: زجُّ النظام السوريّ ببعض الشباب الفلسطينيّ في مواجهة الإسرائيليّين على حدود الجولان السوريّ المحتلّ. فبتاريخ ٢٠١١/٥/١٥ اندفع مئاتُ الشباب الفلسطينيّين إلى التضحية بأرواحهم، مدفوعين بالحنين إلى فلسطين، وبالرغبة في إثبات الجدارة، فاقتحموا تلك الحدودَ. وهو ما فاجئ الجميع، بمن فيهم المخابراتُ السوريّة التي سهّلتْ وصولَهم إلى حدود الجولان المحتلّ، وهي مَنْ كانت تمنع (حتى قبل فترة قريبة) الجميعَ من الوصول إلى تلك التخوم التي تقبع خلفها فلسطين.

كان النظامُ السوريّ قد أوصل إلى إسرائيل رسائلَ مفادُها أنّ «أمنها من أمن سوريا.» وللبرهان على هذه الفرضيّة سمح للفلسطينيّين بالوصول إلى نقاط التماسّ مع فلسطين المحتلّة. ورغم معرفة كثير من الفلسطينيّين بأخطار اللعبة، فإنّهم ذهبوا إلى الحدود في ذكرى النكبة، وحقّقوا نصرًا معنويًّا كان يَلْزمهم في مواجهة شعورهم بالعجز والإحباط نتيجةً للمناكفات الفلسطينيّة الداخليّة والتهميش الذي أصابهم من السلطة الفلسطينيّة. ساد في تلك الفترة شبهُ إجماع فلسطينيّ على أنّه لا ينبغي معاودةُ الكرّة، إلا أنّ شخصيّات وتنظيمات فلسطينيّة موالية للمخابرات السوريّة والإيرانيّة بدأتْ بضخّ الأموال من أجل تأمين وصول الشباب الفلسطينيّ المتحمّس إلى الحدود مرّةً أخرى في ذكرى النكسة (٢٠١١/٦/٥). وعملت المخابراتُ السوريّة هذه المرّة على توزيع الفلسطينيّين على نقطتين حدوديّتين كي لا يشكّل تجمّعُهم واندفاعُهم إخلالًا بالمعادلة القائمة مع الإسرائيليّين، الذين حذّروا بشدّةٍ من الاقتراب من «حدودهم.» لكنّ عدد الشهداء كان كبيرًا هذه المرّة، حيث وصل إلى حوالى أربعة وعشرين. وفي تشييع هؤلاء الشهداء في مخيّم اليرموك، حدث ما لم يكن في الحسبان: فقد اندفع الآلاف من الفلسطينيّين إلى مهاجمة مقرّ الجبهة الشعبيّة ـ القيادة العامّة، المعروف بـ «الخالصة»، لأنهم حمّلوها مسؤوليّة المذبحة، وكانوا يؤمنون أنّ ما جرى لعبة استخباراتيّة بغيضة. إلا أنّ توق الفلسطينيّين إلى بلادهم، فاق نصائح الجميع وتحذيراتهم. وعندما قتل عناصرُ القيادة العامّة فلسطينيّين (وردّ المهاجمون بقتل حارسيْن من القيادة العامّة) اتضحت الصورةُ للجميع، وانجلت الصورةُ لدى معظم أبناء الشعب السوريّ. ههنا صار الفلسطينيّ «سوريًّا» ويحقّ له أن يدلي برأيه، بعد أن كان المعارضون والمؤيّدون للنظام السوريّ يطالبونه بالتزام الصمت لكونه فلسطينيًّا. وهنا بدأ السوريّون يميّزون بين التنظيمات الفلسطينيّة، ولاسيّما مع بدء حركة حماس الإعلانَ عن تأييدها للثوّار السوريّين.

الحدث الثالث: ردُّ الفلسطينيين ديْنَ اللجوء إلى السوريين. فقد وَجد السوريّون النازحون من مناطقَ اندلعتْ فيها أعمالُ القتال، مكانًا لالتقاط الأنفاس في المخيّمات الفلسطينيّة. وهناك شكّل الفلسطينيون لجانًا إغاثيّة وقاموا بواجب احتضانهم. فمخيّما اليرموك وخان الشّيح استضافا من العائلات السوريّة في منازلهم ومدارسهم ما يفوق عددَ اللاجئين في إحدى الدول المجاورة لسوريا. وبينما تبرّمتْ دولُ الجوار من هؤلاء اللاجئين، عمل أبناءُ المخيّمات الفلسطينيّة

بسعادة وحبّ بالغيْن، ولم يضيقوا ذرعًا بالعائلات الفقيرة، رغم الأعباء الماديّة الكبيرة التي لحقتْ بهم (وكانوا يرزحون تحتها أصلًا)؛ فمن المؤكّد أنّهم يعرفون، أكثرَ من غيرهم، معنى الضياع وفقدان المأوى وهجرة المنازل عنوةً. وعليه، يمكن القولُ بلا تردد إنّ الفلسطينيّ نجح بجدارة في امتحان الإنسانيّة.

الحدث الرابع: زجّ جيش التحرير الفلسطينيّ في مناطق التوتّر والصراع العسكريّ الدائر في سوريا. فقد تمّ نقلُ قطعاتٍ من جيش التحرير إلى مناطق شديدة السخونة، وأُجبر بعضُ أفراده على التوقيع على وثائق يتعهّدون فيها بحماية منشآتٍ حيويّةٍ سوريّة. هنا أصبحتْ شرائحُ جديدةٌ من الفلسطينيّين معنيّةً أكثر بنصرة ثورة الشعب السوريّ؛ فالخدمة العسكريّة إجباريّة للفلسطينيّين السوريّين، وهذا يعني أنّ معظم العائلات الفلسطينيّة لها أبناء نُقلوا إلى مربّعات الموت، حيث يمكن أن يصطدموا بما يسمّى «الجيش السوريّ الحرّ» الذي اتّبع نهجَ مهاجمة المقرّات والمنشآت التابعة للجيش السوريّ. وقد حاول بعضُ الناشطين الفلسطينيّين إقامة مواثيق مع «الجيش السوريّ الحرّ» كي لا يقوم بمهاجمة الشباب الفلسطينيّ الذي أُخِذ رغمًا عنه إلى تلك الأماكن، وصار الفلسطينيّون السوريّون ممّن لديهم أبناء يؤدّون الخدمة الإلزاميّة بين نارين: أبنائهم، وانحيازاتهم السياسيّة.

❖ ❖ ❖

سهرات وجلسات نقاش كثيرة في مخيّمات عديدة لم تصل إلى نتيجة حتى الآن؛ فمستقبل الفلسطينيّين في سوريا مازال مجهولًا، وذلك في ظلّ غياب كامل للأحزاب والقوى الفلسطينيّة التقليديّة، وتوانٍي السلطة الفلسطينيّة عن ضمان أمن من يُفترض أن يكونوا «رعاياها.» والمفارقة أنّ هذا المستقبل المجهول لن يتأخّر كثيرًا في الوصول. وهكذا يقف فلسطينيّو سوريا في هذه المرحلة من وجودهم محرجين أمام أنفسهم، إذ إنهم باتوا على قناعة تامّة بأنّهم متروكون في العراء.

دمشق